9

الاستلزام الحواري في "حكاية التاجر مع العفريت"

دراسة تحليلية تداولية في السرد العباسي

أ.م.د. عزيزة عزالدين لافي

جامعة الأنبار –كلية التربية للبنات

ailafie@uoanbar.edu.iq

ملخّص البحث

قامت هذه الدراسة التداولية بتحليل حكايةٍ من حكايات مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ، وهي "حكاية التاجر مع العفريت" وفقاً لأسس نظرية الاستلزام الحواري ومفهومه، بوصفها نموذجاً غنياً بالمعاني المضمرة التي لمّح إليها مبدع النص ومرسله، والتي يعد الاستلزام الحواري نوعاً منها.

وقد وجدت الدراسة أن الاستلزام الحواري مارس دوراً فاعلاً ومهماً في بناء المعاني الضمنية، وتبليغها إلى المتلقي من حيث إنه وسيلة توريةٍ ناجحةٍ تتيح للمرسل بث معانيه المقصودة حقيقةً في عباءةٍ من التلميح الذي يحميه من عواقب التصريح.

كما وجدت أن الاستدلالات المعنوية التي يقدمها الاستلزام الحواري في هذه الحكاية تتسع وتتعد باتساع طبقات الإرسال والتلقي وتعددهما مما أعطى السياق والمقام أهميةً بالغةً في قراءة الحكاية وفهم أبعادها الضمنية.

الكلمات المفتاحية: التداولية، العملية التواصلية، المعاني الحرفية، المعاني المضمرة، الاستلزام الحواري، الحوار، مبدأ التعاون.

Dialogic Imperative In "The Tale Of The Merchant With The Elf" A Pragmatic Analytical Study In The Abbasid Narrative

Research Summary

This pragmatic study analyzed one of the tales of the One Thousand and One Nights blog, which is "The Tale of the Merchant with the Goblin" according to the foundations of the theory and concept of dialogic imperative, as a model rich in implicit meanings alluded to by the producer .and sender of the text, of which the dialogical imperative is a type

The study found that the dialogic imperative played an active and important role in building implicit meanings, and communicating them to the recipient in terms of being a successful pun method that allows the sender to broadcast his intended meanings in reality in a cloak of hint that .protects him from the consequences of the statement

She also found that the moral inferences provided by the dialogic imperative in this tale expand and exceed the breadth and multiplicity of layers of transmission and reception, which gave the context and the place great importance in reading the tale and understanding its implicit .dimensions

Keywords: *pragmatism, communicative process, literal meanings, implicit meaning, dialogic imperatives, dialogue, principle of cooperation.*

1-مقدّمة:

تتمتع دراسة حكايات ألف ليلةٍ وليلةٍ بأهميةٍ كبيرةٍ من عدة جوانب، منها أنها تمثل تراثاً أدبياً هائلاً يعود إلى العصور الوسطى، ويحكي قصصاً مشوقةً ومثيرةً تحظى بشهرةٍ عالميةٍ، وتعد واحدةً من أهم رموز الأدب الشرقي؛ فهي بمنزلة نافذةٍ على الثقافة والتقاليد الشرقية القديمة، فضلا عن كونها تسلط الضوء على القيم والمعتقدات الشرقية من خلال ما تعرضه الأساطير والأديان والتراث الشعبي، وهذا ما يسهم في فهم الثقافة والفلسفة والمجتمعات التي أنشأت هذه القصص.

فقصص ألف ليلةٍ وليلةٍ لم تكن مجرد قصصٍ ترفيهيةٍ، بل حملت في طياتها دروساً أخلاقيةً وفكريةً واجتماعيةً، كما أنها ناقشت قضايا حياتيةً إنسانيةً من مثل الحب والعدل والخيانة والشجاعة والعقاب والمكافأة و... مما يعطيها أبعاداً أكثر عمقاً، ويجعلها قابلةً للتأمل والتحليل.

ومما تميزت به لغة السرد في مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ ما برز من القدرة الإبداعية والخيالية للكتاب الشرقيين القدماء؛ حيث نسجت هذه القصص شخصياتٍ متنوعةً ومثيرةً للاهتمام، وصورتها تصويراً مبهراً، كما شُبكت القصص ضمن المدونة معاً على نحوٍ يحمل في طياته لغزاً وتشويقاً يجذب المتلقي ويثير فضوله.

وهكذا فإن مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ عدت كنزاً ثقافياً يمكن أن يشغل الخيال، ويفتح الآفاق الجديدة للإبداع، فهي مصدرٌ من مصادر الإلهام والإبداع التي يمكن أن يفيد منها الكُتاب والفنانون والمبدعون في أعمالهم الخاصة كمصدرٍ للأفكار والمواضيع والشخصيات.

كما أن بنيتيها السردية والتداولية تحملان في طياتهما معانٍ ضمنيةً تجذب الباحث، وتدفعه إلى الغوص في أعماقهما للكشف عنها باستخدام الأدوات التحليلية التي تتيحها النظريات الأدبية واللسانية المتعددة، والتي تسهم في كشف مقاصد المرسل والمحددات التي تتعلق بعمق النص، ومن هنا التفتت هذه الدراسة إلى الغوص في عمق الدلالة في هذه المدونة من خلال استخدام الأدوات التحليلية التي تتيحها النظرية التداولية على إحدى قصص مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ بوصفها نموذجاً تتجلى فيه محددات التداول اللغوي من سياقٍ ومقامٍ وطرفي تواصل ودورة حوارٍ وتخاطبٍ...، فضلا عن كون النظرية التداولية تمثل نظريةً من أهم النظريات اللسانية الحديثة التي تكشف عن المعاني المضمرة في النص اللغوي، وعن القرائن غير اللغوية التي ترتبط بمقام النص نحو الزمان والمكان والعصر الذي ينتمي إليه النص، وذلك من خلال الانتقال من البنية العميقة إلى البنيات الدالة عبر السياق والمقام والمضمرات القولية.

ولهذا فقد وجدت الدراسة أن تطبيق الآليات التحليلية التي تقدمها التداولية على "**حكاية التاجر مع العفريت**" من حكايات ألف ليلةٍ وليلةٍ سيكون عملاً مساهماً في الكشف عن المخزون الفكري والفلسفي الدال على سمات عصر تدوين المدونة (العصر العباسي) في ذلك الجزء من أجزائها، وسيمثل صورةً عن جدوى تحليل الخطاب السردي العباسي بوساطة الآليات التحليلية الجديدة المنبثقة عن النظريات الحديثة في محاولةٍ منا لتقديم إضافةٍ فاعلةٍ في سياق المزيد من استنباط الدلالات المعاني والأفكار التي قد تسهم في رسم صورة المشهد الثقافي الأدبي والفكري والحضاري السائد في العصر العباسي.

فهذه الدراسة تسوغ لنفسها انطلاقاً من جانبين؛ **الأول:** يرتبط بكون مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ مدونةً متميزةً من مدونات القص الشعبي التي دونت في العصر العباسي في أوجه فحفلت بسمات عصرها الظاهرة والمضمرة، ومثلت نموذجاً أدبياً متميزاً بقوالبه القصصية وبنيتيه السردية والتداولية، **والثاني:** يرتبط بكون النظرية التداولية قدمت المفاهيم النظرية والأدوات التحليلية والآليات التفكيكية التي تسهم في تفكيك شيفرات النص وتحليلها؛ للكشف عن الأغراض التواصلية والتنقيب عن الكنز الفكري والثقافي واللغوي الذي يحتويه النص بين طياته، ومقاصد تأليفه.

وترجع أسباب اختيارنا لهذا الموضوع إلى قلة الدراسات التي حاولت تطبيق مفاهيم النظرية التداولية على مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ، فضلا عن رغبتنا في مقاربة نصٍ من نصوص النثر العباسي وفق رؤيةٍ حداثيةٍ تبرز حركية السرد العباسي ونصوصه، وإمكانية توالد الدراسات منه وحوله بشكلٍ متجددٍ، ولذلك ستسعى الدراسة إلى تطبيق مفهوم الاستلزام الحواري على حكاية التاجر مع العفريت بوصفه واحداً من مفهومات النظرية التداولية التي ترتبط بنظرية المحايثة المتعلقة بمبادئ التوصل الكلامي ومسلماته.

وتقتضي المنهجية العلمية الوقوف على أصول النظرية التداولية وأساسها النظري مفاهيمها على نحوٍ موجزٍ ومكثفٍ، والتعريف بمفهوم الاستلزام الحواري على نحوٍ موسعٍ معمقٍ قبل الوصول إلى التطبيق التحليلي الذي سنطبق فيه مفهوم الاستلزام الحواري على النموذج القصصي المختار، فلضمان تماسك العمل لابد من الانطلاق من العام إلى الخاص للوصول إلى النتائج العلمية الدقيقة التي ستنبثق من خصوصية التحليل التداولي للنموذج المختار.

2-نشأة التداولية وروافدها:

إن دراسة اللغة من منظور اللسانيات البنيوية بوصفها قدرةً ذهنيةً مجردةً تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها لم تعد كافيةً، كما أن الوقوف عند حدود دراسة المقدرة اللغوية من دون الكلام على

نحو ما نجده في اللسانيات التوليدية التحويلية لم يعد أمراً كافياً لدراسة اللغة ضمن حيواتها التواصلية، فاللغة أداة التواصل، والتواصل هو الغاية الرئيسة المنوطة من الحدث اللغوي برمته، وهذا الفهم لكينونة اللغة وكينونة وجودها أسفر عن ظهور منهجٍ لسانيٍّ جديدٍ ينظر إلى اللغة بوصفها الأداة الفاعلة والفعلية في تحقيق التواصل، فيُعنى بشروط إنتاج الحدث اللغوي، والأنماط اللغوية التعبيرية المختلفة، وقد سمّي **(المنهج التداولي)**.

وقد تعددت المنابع والأصول التي أنتجت هذا المنهج الجديد، فمنها ما كان فلسفياً، ومنها ما كان لسانياً، فأما من جهة الأصول الفلسفية فتعد الفلسفة التحليلية المنبع الرئيس للتداولية فهي الينبوع المعرفي لأول مفاهيمها، وهي مسبب نشوء اللسانيات التداولية برمتها[1] ، ويعود ذلك إلى كونها اعترفت بالدور الحيوي الذي تقوم به اللغة في الفلسفة، وهذا ما مثل نقطة الانطلاق في دراستها[2]، فالفلاسفة التحويليون لم ينظروا إلى اللغة على أنها وسيلةٌ فقط، بل نظروا إليها على أنها هدفٌ من أهداف البحث الفلسفي، وأن على الفلسفة أن تبحث في اللغة وتوضيحها، فهم لم يرضوا عن الفكر الفلسفي القديم من جهة عدم التفاته إلى اللغات الطبيعية، وعدم إعطائها ما تستحق من الدراسة والبحث، فسعوا إلى ردم هذه الهوّة من خلال جعل اللغة موضوعاً للدراسة بوصفها مشروعاً فلسفياً يسعى إلى فهم الكون ومشكلاته، فصار ذلك مبدأهم المنهجي وعلامة قوة منهجهم وحقانته[3].

وقد ترأس هذا الاتجاه الفلسفي الفيلسوف الألماني فريجه ***(G.Frege)***؛ إذ تأثرت التيارات الفلسفية التحليلية التالية له بفكره الذي قدمه في كتاب **(أسس علم الحساب)**، ولاسيما بفكرته القائلة: إن فهم الإنسان لذاته وعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة بوصفها المعبر عن هذا الفهم، وهذا ما صرفها إلى تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع (نظرية المعرفة) إلى موضوع (التحليل اللغوي)، فضلا عن إلى تجديد عدد من المباحث اللغوية وتعميقها، ولاسيما مبحث الدلالة والقضايا المتفرعة عنه[4].

ويعد اتجاه (فلسفة اللغة العادية) واحداً من أهم اتجاهات الفلسفة التحليلية، وقد تزعم فيتغنشتاين ***(Wittgenstein)*** هذا الاتجاه، وكانت اللغة عنده المادة الأساسية للفلسفة؛ إذ وجدها مفتاح مغاليق الفلسفة، وذهب إلى أن الخلافات والتناقضات بين الفلاسفة سببها الأول سوء فهم اللغة بينهم وإهمالهم لها، فدعا إلى مراعاة الجانب الاستعمالي للغة بوصفه الجانب الذي يكسب تعليم اللغة واستعمالها، وانتقل من الاهتمام بالجانب التركيبي والدلالي للقضايا إلى الاهتمام بالوظائف الفعلية للغة وكيفية استعمالها[5] وقد برزت أهمية اتجاه فيتغنشتاين عندما تبناه فلاسفة أوكسفورد، ولاسيما أوستين ***(Austin)*** وسيرل ***(Searle)***، فالتحليل اللغوي بعد فيتغنشتاين أضحى جسراً لفهم الكون وتفسيره، وأداة رصدٍ للقضايا اللغوية وتحليلها، وهكذا أوجدت الفلسفة

التحليلية لنفسها مساراً خاصاً بعيداً عن النمط الفلسفي التقليدي في التعامل مع اللغة، وأسهمت في إرساء قاعدةٍ متينةٍ لارتكاز التداولية وظهورها.

وأما من جهة الأصول اللسانية فتعد السيميائيات المنبع اللساني الرئيس لمفاهيم التداولية؛ إذ أسهمت السيميائيات في نشأة التداولية من حيث إن عالميها الأوليين ركزا على الجانب التداولي والتواصلي للغة، فاهتمام العالم السويسري فرديناند دي سوسير (***De-Saussure Ferdinand***) انصب على دراسة حياة الإشارات والعلامات اللغوية وغير اللغوية في المجتمع، ودلالاتها المتداولة في الوسط الاجتماعي، وأطلق على العلم الذي يهتم بهذه الجوانب اسم علم الإشارات (***Semiology***)[6] ، وأما اهتمام شارل سندر بيرس (***Charles Sanders Peirce***) فقد انصب على دراسة التجربة الإنسانية برمتها من زاويةٍ سيميائيةٍ، فنظر إلى العلامة أياً كان نوعها بأنها لا تحمل معنىً في ذاتها ما لم تتحدد من خلال استعمالها ضمن سياقٍ معينٍ، فالعلامة عنده اتخذت منحىً أنطولوجياً وجودياً مداره حول ماهية العلامة ووجودها وعلاقتها بالموجودات الأخرى[7] ، وهذا ما أعطى العلامة السيميائية بعداً تداولياً.

ونتيجةً لاتجاهي بيرس وسوسير في دراسة العلامة اللغوية والسيميائية انصرف عدد من الفلاسفة واللغويين إلى الاهتمام بالسياق ودراسة العلامة ضمن ظروف إنتاجها والعوامل المحيطة والمؤثرة فيها، فضلا عن الاهتمام بالبعد الاتصالي للعلامة، والالتفات إلى كل ما يخص طرفي حلقة التواصل اللغوي (المتكلم–المتلقي)، وكان من أهم هؤلاء تشارلز موريس (***Charles W. Morris***) الذي أدخل التداولية ضمن إطارٍ نظريٍّ يعني فيه المصطلح العلاقة بين العلامات ومستعمليها [8] فعلماء التداولية درسوا اللغة بوصفها مجموعةً من العلامات المنطوقة وغير المنطوقة، واهتموا بدراسة العلاقة بين الرموز والعلامات المستخدمة وما تشير إليه، وعلاقة العلامات بعضها ببعضٍ، وعلاقتها بمجال الاستخدام ومستخدميها[9] ، كما انصرفوا إلى تفتيت القضايا اللغوية وتحليل الظواهر الناتجة عن استعمال النسق اللغوي نحو قضايا الاستلزام الحواري ومضمرات القول... من دون أن تكون غايتهم القصوى بناء أنساقٍ لسانيةٍ كليةٍ للغة على نحو ما هو كائنٌ في النحو التوليدي، وذلك نتيجة اعترافهم بتعدد الظواهر اللغوية وتشابكها وصعوبة حصر اللامتناهي من خلال المتناهي، فانشغلوا بكون التواصل الإنساني ظاهرةً معقدةً ذات صلةٍ بأمزجة المتخاطبين وخلفياتهم ومقاصدهم ومضمراتهم وقدراتهم على الحجاج والاستدلال، وانصب تركيزهم لذلك على مقاربة هذه الملابسات من خلال تعميق الفهم بالسياق الكلامي، ودراسة الاستدلالات التي يقدم عليها المتخاطبون أثناء تفاعلهم، وتحليل البنيات الحجاجية اللغوية المنبثة في الخطابات[10]

وهكذا نجد أن هذه الأصول اللسانية والفلسفية قد أسهمت بشكلٍ كبيرٍ في إنشاء التداولية بوصفها علماً قائما بنفسه، وتياراً لسانياً يوازي التيارات اللسانية الأخرى، ويضم جملةً من المفاهيم والنظريات نحو: (المتضمنات، والاستلزام الحواري، والإشاريات، ونظرية الحجاج، ونظرية أفعال الكلام...) وغيرها من المفاهيم التي اشتهرت بـ (اللسانيات التداولية).

3-مباحث التداولية ومفاهيمها:

لقد اتسع البحث التداولي لاتساع روافده وأصوله، فتعددت موضوعات اللسانيات التداولية، وظهرت تياراتٌ متداخلةٌ في الوقت نفسه، منها ما حاول توحيد الفروع المتشعبة وأجزائها على نحو ما نجد في تصور هانسون (***Hanson***) الذي قدمه في عام (1974)، وذلك من خلال تمييزه لثلاثة أجزاءٍ أو (درجاتٍ) على نحو ما اصطلح هانسون نفسه، وقد تضمنت هذه الدرجات مباحث التداولية وفق ترتيبٍ يوحي بالعبور المتنامي من مخططٍ إلى آخر، فتداولية الدرجة الأولى وجد أنها دراسة الرموز الإشارية ضمن ظروف استعمالها، أما تداولية الدرجة الثانية فوجد أنها دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها؛ أي ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه، وحجم ما يبلغه المتكلم من دلالاتٍ في الملفوظ الذي يؤدي ذلك، ومدى نجاحه أو إخفاقه، فضلا عن نفسية المتخاطبين وحدسهم، والاعتقادات المشتركة بينهم، والمعنى الحرفي والمعنى التواصلي أو السياقي أو الموضوعي، وقواعد المحادثة لـ غرايس (***Grice***) التي تقوم على مبدأ التعاون بين المتخاطبين، وأما تداولية الدرجة الثالثة فهي نظرية أفعال الكلام المرتبطة بمعرفة ما تم إنجازه بوساطة استعمال الأشكال اللسانية؛ أي تحديد الأفعال الكلامية التي تتحقق من خلال السياق[11]

إن اتساع درجات التداولية وتشعب فروعها وأجزائها لا يقف عائقاً أمام تقديمها بوصفها نظريةً متكاملةً ومستقلةً لها محاورها الرئيسة التي تنضوي تحت مبدأ عامٍ مفاده (دراسة كيفية استعمال الناطقين للغة في حالات الخطاب الملموسة)[12], وتبعاً لتصنيف هانسون لدرجات التداولية يمكن أن نحدد محاور التداولية الرئيسة على النحو الآتي:

1-الإشاريات (Indications):

تعد الإشاريات عنصراً مهماً من عناصر التحليل التداولي، وهي من الآليات اللغوية التي تهتم على نحوٍ مباشرٍ بالعلاقة بين تركيب اللغات والسياق الذي تستخدم فيه[13]، ولذلك فإن تحليلها من شأنه أن يبين مقاصد الخطاب، ويوضح العناصر السياقية الملازمة لعملية التلفظ من خلال معرفة مرجعياتها، وتحديد ما تشير إليه، والإلمام بمعناها.

2-متضمنات القول:

تعد دراسة المتضمنات القولية من ركائز النظرية التداولية؛ إذ إن التداولية قامت استناداً على فكرة المتضمنات القولية التي تتمثل في النظر إلى الخطاب بوصفه يضمر من المعاني والدلالات أكثر مما يصرح به، ففي أي تواصلٍ يكون الخطاب تصريحياً بشكلٍ جزئيٍّ وضمنياً بشكل جزئيٍّ آخر، فالمعنى الضمني موجودٌ في التعبيريات كلها سواءٌ أتعلق الأمر بالمعنى الحرفي أم بالقيمة القولية أم بالأعمال المباشرة أم بالإخباريات...، فنحن في المحادثات لا نقول كل شيءٍ، وإذا غاب الضمني امتنع التواصل[14] وتتفرع المتضمنات التداولية إلى فرعين؛ الأول: الافتراض المسبق(***Presupposition***)، والثاني: القول المضمر (***Sous-entendu***)، فأما الافتراض المسبق فمفهومه يدل على الكلام الثاوي في البنية اللغوية، والمتوقف على الكيفية التي يتوالد بها النص[15]، فهو جملةٌ من الاستدلالات يتوصل المتلقي إليها من خلال معرفته بالسياق اللغوي للخطاب بالاعتماد على كفاءته اللغوية وفك رموزه.

وأما مفهوم القول المضمر فهو نمطٌ من أنماط المتضمنات التداولية المرتبط بوضعية الخطاب ومقامه، ويعرف بكونه جملةً من المعلومات المنقولة عبر خطابٍ معينٍ تتفعل بخضوعها إلى خصائص السياق التعبيري الأدائي[16] ، فمعرفة القول المضمر وفهمه يرتبطان بالسياق الذي يضمه على نحوٍ تامٍ.

3-نظرية أفعال الكلام:

وهي من أوائل نظريات التداولية، ظهرت نتيجة اهتمامها بالمعنى ضمن السياق الخاص بالاستعمال اللغوي، وعدّت في الدرس التداولي واحدةً من أهم مجالاته، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفةً للأفعال الكلامية[17] وتندرج نظرية الأفعال الكلامية ضمن تداولية الدرجة الثالثة، فهي ترتبط بالتحقق والإنجاز الذي يتحصل من خلال استعمال بعض الأشكال اللغوية ضمن سياقاتٍ محددةٍ، ففي نظرية الأفعال الكلامية تعد الوحدة الدنيا للتواصل هي إنجاز بعض أنماط الأفعال، وليست الجملة ولا أي تعبيرٍ آخر[18] فهذه النظرية تُعنى بالظاهرة اللغوية المتحققة التي تؤدي إلى الإنجاز، وليس بغير المتحقق منها، بمعنى أنها تهتم بسياقات التلفظ التي ترد فيها الأقوال اللغوية.

وقد تأسست على يدي الفيلسوف أوستين (***Austin***)، ثم تلميذه سيرل (***Searle***)، وهما من أبرز فلاسفة أوكسفورد، وقد عمل أوستين على وضع الأسس الأولى لهذه النظرية، فبيّن أن في اللغة مجموعةً من الكلمات التي تنجز فعلاً بمجرد التلفظ بها، ومهمة نظرية الأفعال الكلامية أن تدرس نسقية العلاقة بين العلامات ومؤوليها[19]، فهي تهتم بدراسة الكلام بوصفه حدثاً أو فعلاً يمتلك قوةً فاعلةً في الواقع، مؤثرةً في المتلقي، فالكلام والفعل متحدان بالنظر إلى البعد الديناميكي للغة وفق نظرية الأفعال الكلامية.

ثم عمل جون سيرل على تطوير ما قدمه أستاذه أوستين مستثمراً مبدأ القصدية (***Intentionality***) في دراسة الأفعال الكلامية الذي جاء به، ومستلهماً أفكار فيتغنشتاين في تصنيفه للأفعال الكلامية، فغدت بذلك نظرية الأفعال الكلامية نظريةً محوريةً في الدرس اللساني الحديث بوصفها تتيح للباحث اللساني استخلاص المعنى من الفعل الكلامي وفق شروطٍ خاصةٍ تراعي القوة الإنجازية الكامنة في الفعل الكلامي، فضلا عن القوة الإنجازية المستلزمة من السياق والمقام.

4-الحجاج (Argument):

يعدّ الحجاج عمليةً فكريةً تهدف إلى الإقناع من خلال استخدام الحجج والبراهين، فالمرسل يستخدم الحجج والبراهين بغية إقناع المرسَل إليه والتأثير فيه، ويظهر الحجاج في تراكيب لغويةٍ وأنماطٍ كلاميةٍ مختلفةٍ، ويعرّف بأنه (الآلية الأبرز التي يستعمل المرسِل اللغة فيها، وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع) [20]، ويرتبط تحقق الحجاج بالسياق؛ إذ إن المرسل يحاجج متلقيه بحججٍ يستمدها من الواقع أو البيئة المحيطة به، وتبعاً لبيرلمان (***Perleman***) لا يمكن عزل حلقة الحجاج عن السياق الذي تندرج ضمنه؛ إذ إن تحليل التقنيات الحجاجية يدور حول محورين هما: محور دراسة الخطاب عن طريق دراسة البنى الحجاجية التي تكونه، ومحور دراسة الوضعية التبليغية التي تشكل فعل الحجاج؛ أي أثر الخطاب على المستمع انطلاقاً من قصد المرسِل[21]، فالحجاج فعاليةٌ تداوليةٌ مهمةٌ تمثل شكلاً من أشكال الحوار والتواصل بين المتخاطبين القائم على تحقيق أهدافٍ إقناعيةٍ يسعى إليها المرسِل.

4-نظرية الاستلزام الحواري (*Dialogic Imperative*):

تهتم النظرية التداولية اهتماماً بالغاً بالحوار بوصفه أساس العملية التواصلية بقطبيها (المرسِل، والمرسَل إليه)، (فالهدف الأساس من استعمال الكلام هو إيصال رسالةٍ ما إلى شخصٍ معينٍ أو مجموعةٍ من الأشخاص، ولذلك فإن استعمال الكلام يستوجب وجود عنصرين لا يكون الحديث إلا بهما وهما المتكلم الذي يؤلف المرسلة تبعاً لأهوائه ورغباته، والمخاطب الذي يقوم بفك رموز هذه المرسلة لفهمها فلابد إذن من أن تكون هناك مرسلةٌ يبثها المتكلم ليتلقاها المستمع الذي قد يكون شخصاً حقيقياً أو وهمياً متخيلاً من قبل المتكلم؛ فهذا التواصل الخارجي لا يقوم إذن إلا بوجود قطبي الحديث (المرسِل والمرسَل إليه)[22].

وتعود نشأة نظرية الاستلزام الحواري في الدرس التداولي إلى اهتمام غرايس بالحوار في بحثٍ له بعنوان: (**المنطق والحوار**)، وقد كانت نقطة البدء عنده أن الناس في حواراتهم

قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجاء اهتمام غرايس بإيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، فقصد المتكلم هو ما يريد أن يبلغه إلى السامع على نحوٍ غير مباشرٍ معتمداً على أن السامع قادرٌ أن يصل إلى مراد المتكلم اعتماداً على أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فقد أراد غرايس أن يقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنىً صريح، وما يحمله من معنىً متضمنٍ، فنشأت عنده فكرة الاستلزام[23]، وهكذا فإن أعمال غرايس المبكرة التفتت إلى مقاصد الحوار في العملية التواصلية، والآليات الظاهرة والخفية في توصيل المقاصد.

ونظر بعض الباحثين إلى نظرية الاستلزام الحواري بأنها جاءت لتسد ثغرةً في مجال علم الدلالة والفعليات؛ أي لتقدم إجابةً عن التساؤل حول إمكانية أن نعني أكثر مما نقول فعلاً، أو أكثر مما نعبر عنه حرفياً المعنى التقليدي المتعارف عليه للتعابير اللغوية المنطوقة[24].

وقد تعددت اصطلاحات الباحثين في الدلالة على هذا المفهوم، فمنهم من استخدم مصطلح التلويح الحواري نحو هشام عبد الله الخليفة، ومنهم من استخدم مصطلح التضمين التحادثي نحو ما نجده في ترجمة كتاب (التداولية) لجورج يول[25]، ومنهم من استخدم مصطلح الاقتضاء التخاطبي[26]، وقد استخدم البحث مصطلح الاستلزام الحواري بوصفه أكثر انتشاراً في المدونات اللسانية من المصطلحات الأخرى.

أما دلالة المصطلح فيمكن أن نحددها بقولنا: إن الاستلزام الحواري نوعٌ من المضمرات التي تظهر في الخطاب إلى جانب المعاني الصريحة والمباشرة التي تقدمها بنيته اللغوية، فالمتكلم يلجأ في بعض الأحيان إلى تقديم معانيه بشكلٍ غير مباشرٍ معتمداً على ما يتمتع به متلقيه من قدرةٍ على الاستدلال العقلي، فالمتلقي يتعاون مع المتكلم في سبيل الانتقال إلى المعنى الذي يقصده، ويقدمه السياق عبر كسر إحدى قواعد الحوار، وذلك لأن الاستلزام الحواري لا يدرس الجمل تبعاً لمحتواها القضوي، بل تبعاً للتداول الفعلي وظروف السياق والمقام.

فالمتكلم قد يقصد ما لا يطابق الدلالة الحرفية لجمله، وقد أرجع غرايس ذلك إلى حالةٍ من التعاون والمساهمة بين المتخاطبين؛ إذ (يفترض غرايس أن المتخاطبين المساهمين في محادثةٍ مشتركةٍ يحترمون مبدأ التعاون. فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحدٍ منهم في المحادثة بكيفيةٍ عقلانيةٍ ومتعاونةٍ لتيسير تأويل أقواله)[27]، فالمتخاطبون يخترقون

في أغلب الأحيان قواعد المحاورة متكلين على تعاون المتلقين في الاستدلال على القواعد التي يلتزم بها المتكلم.

ويمثل مبدأ التعاون كما يراه غرايس المبدأ الذي يتكل عليه المرسل في تعبيره عن مقاصده بعد أن يكون ضامناً قدرة المرسَل إليه على تأويلها وفهمها، ولذلك يقول غرايس: ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار[28]، وبتعبيرٍ آخر: (اجعل إسهامك الحواري، حين تدلي به، مناسباً للاتجاه والغاية المتوخاة من المحاورة التي تشارك فيها)[29]، فعلى كلٍ من المرسِل والمتلقي أن يسهما في إنجاح المحادثة من خلال التزامهما بمبدأ التعاون؛ إذ إن عدم التزامهما سيخل بمسار المحادثة، وسيعيق أو يوقف عملية إبلاغ المقاصد.

وقد فصّل غرايس في شرح مبدأ التعاون فقسمه إلى أربع قواعد ثانوية هي:

1-قاعدة الكم، 2- قاعدة النوع، 3-قاعدة المناسبة، 4-قاعدة الكيف، فأما قاعدة الكم فتعني أن مساهمة المتكلم في الخطاب تكون بقدرٍ أو بكمٍّ من المعلومات يعادل ما هو ضروريٌّ للمقام، وأما قاعدة النوع فتشير إلى نزاهة المتكلم من جهة عدم كذبه، وامتلاكه الحجج اللازمة لإثبات ما يدعيه، وأما قاعدة المناسبة فيقصد بها أن يكون الحديث داخل الموضوع الذي يتناوله المتخاطبون، وأما قاعدة الكيف فتعني أن يعبر المتكلم بوضوحٍ بقدر ما يستطيع، وأن يرتب معلوماته بشكلٍ مفهومٍ[30]

وقد أكد غرايس أن ما يجعل الحوار بين المتخاطبين ناجحاً هو تحقق هذه المبادئ الفرعية في الحوار، إلا أن المتكلمين لا يلتزمون بهذه المبادئ على الدوام، فقد (يستعمل المتكلمون بعض أشكال التعبير ليبينوا أنهم قد يكونون في خطر عدم الانصياع الكامل لهذه المبادئ. تسمى أشكال التعابير هذه بالاستدراكات)[31]، فالمتحاورون يميلون إلى تجاهل هذه المبادئ على الرغم من التزامهم بمبدأ التعاون، فمبدأ التعاون هو ما يضمن وصول المقاصد المضمرة والمستلزمة من هذا التجاهل، وبدوره الاستلزام الحواري سيضمن تحقيق مبدأ التعاون.

وقد قسم الباحثون الاستلزام الحواري إلى عدة أقسامٍ مختلفةٍ تبعاً لزاوية نظر كلٍّ منهم، فغرايس ميز بين نوعين للاستلزام الحواري من ناحية علاقته بالسياق، وهما:

1-الاستلزام المعمم (***generalized***): وهو الاستلزام الذي لا يتطلب سياقاً خاصاً للتوصل إليه، 2-الاستلزام المخصص (***particularized***): وهو الاستلزام الذي يتعلق بالمناسبة، ويتطلب سياقاً (سيناريو) خاصاً ومحدداً ليتم التوصل إليه[32]، ولابد من أن

يكون الاستلزام المخصص هو مدار اهتمام غرايس بوصفه النوع الذي يرتبط بالسياق، ويدفع المتلقي إلى الالتزام بمبدأ التعاون لمعرفة المعنى المضمر الناتج عن خرق المتكلم.

أما جورج يول فجعل أقسام الاستلزام الحواري ثلاثةً؛ إذ أضاف على ما قدمه غرايس ما سماه التضمينات التحادثية المتدرجة، أو (الاستلزام الحواري المتدرج)، ويرى أن فيه يتم اختيار كلمةٍ تعبر عن قيمةٍ واحدةٍ من بين الكلمات الدالة على تدرج القيم لإيصال بعض المعلومات، وباستخدامه لهذه الكلمة فإنه ينفي كل الصيغ الأعلى في التدرج، ومن أبرز خصائص التضمينات المتدرجة أنه عندما يصحح المتكلمون أنفسهم في بعض التفاصيل فإنهم يقومون عادةً بإلغاء واحدٍ من التضمينات المتدرجة[33]

وهكذا فإن الاستلزام الحواري بوصفه عنصراً تداولياً يقوم بأنواعه المتعددة بدورٍ مهمٍ في عملية التواصل؛ إذ يضيف بعداً آخر للمعاني المباشرة التي تحملها جمل الخطاب وتراكيبه، وتعد دراسته وتحليله في الخطاب إضافةً مهمةً على مستوى كشف الدلالات المتوارية التي يبلغ النص عنها بين مضامينه، وهذا ما دفع الباحثين إلى الاهتمام به على مستويي التنظير والتحليل، وهو عينه ما دفعنا إلى اختيار قراءة إحدى نماذج السرد العباسي في ضوء نظريته؛ لرغبةٍ منا في تقديم دراسةٍ تعتمد الجدة العلمية والحداثة الفاعلة في سبيل كشف مكنونات النصوص الأدبية التراثية، ولاسيما السردية العباسية منها.

5- دراسةٌ تحليليةٌ للاستلزام الحواري في "حكاية التاجر مع العفريت":

ستقوم الدراسة في هذا الجزء من البحث بمقاربة "حكاية التاجر مع العفريت" مقاربةً تداوليةً وفقاً لنظرية الاستلزام الحواري بغية إبراز السمات التداولية والخصائص الحوارية الكامنة في هذا النص، فالخطاب السردي في هذه الحكاية خطابٌ سرديٌّ متخيلٌ يقوم على هدفٍ رئيسٍ وهو التأثير في المتلقي؛ فشهرزاد التي تقص الحكاية تهدف إلى التأثير بالملك شهريار تبعاً لحكاية الإطار، وبصورةٍ أعم فإن راوي المدونة برمتها يهدف إلى التأثير بمتلقيه العام، فيتخذ المرسِل اللغة وسيلةً للتواصل والتعبير من جهةٍ، وللتأثير من جهةٍ أخرى، ويتوسل لتحقيق غرضه الإستراتيجية التلميحية؛ إذ يلجأ إلى التعبير عن قصده (بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقول، إذ يتجاوز قصده مجرّد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف

عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق)[34], ومن المعروف أن حكايات شهرزاد ولياليها كانت تلميحيةً أكثر منها تصريحيةً؛ لأن شهرزاد كانت تحاول صرف الملك شهريار عن التسليم بفكرة خيانة كل النساء لأزواجهن، وثنيه عن حكمه القاضي بقتل كل زوجةٍ يتزوجها بعد ليلة الزفاف الأولى، فستسعى الدراسة لذلك إلى الكشف عن المعاني المستلزمة من الحوار القائم في نص "حكاية التاجر مع العفريت" بوصف الاستلزام الحواري آليةً تتيح للمتكلم تحقيق مقاصده بشكلٍ مضمرٍ ، فيقوم بخرق قواعد الحوار ليترك للمتلقي مهمة لحظ السياق بطريقة اللزوم ليصل إلى المعاني المقصودة حقيقةً.

تبتدئ شهرزاد الحكاية بقولها: **(بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجرٌ من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوماً وخرج يطالب في بعض البلاد...)**[35]، فالمرسل (شهرزاد) تقدم جملةً من المعاني الصريحة والمباشرة التي تدل عليها الجمل في صيغتها بذاتها، فالقوة الإنجازية المستلزمة من صيغة الجمل تشير إلى معنى المدح والتعظيم، فهذا التاجر كثير المال والمعاملات؛ أي إنه تاجرٌ عظيمٌ من تجار البلاد، وشهرزاد لا تصرح برتبة التاجر ومنزلته، ولكنها تترك للملك شهريار أن يسأل نفسه ما الغاية من ذكر كثرة أمواله ومعاملاته في افتتاح الحكاية، فشهريار و(المتلقي) بسبب التزامه بمبدأ التعاون في الحوار الذي شرحه ووضحه غرايس سيسعى للبحث عن المعاني المستلزمة من المعاني الصريحة ضمن سياق التواصل لفهم المعاني المضمرة التي يتضمنها الخطاب.

ويتعزز المعنى المستخلص من الاستلزام الحواري السابق من خلال ما أضافته شهرزاد عن التاجر على لسانه نفسه عندما حاول أن يقنع العفريت بالإبقاء على حياته بعض الوقت ريثما يرتب حال عائلته وديون تجارته ومستحقات من يعمل معهم، فقالت شهرزاد: **(...وإذا بعفريتٍ طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي...فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت أني على دينٍ ولي مالٌ كثيرٌ وأولادٌ وزوجةٌ وعندي رهون فدعني أذهب إلى بيتي وأعطي كل ذي حقٍ حقّه ثم أعود أليك ولك عليّ عهدٌ وميثاقٌ أني أعود إليك فتفعل بي ما**

تريد والله على ما أقول وكيل)[36]، فهذا التاجر على خلقٍ ودينٍ رفيعٌ بين أصحابه، ورجلٌ ذو ذمةٍ وفضيلةٍ، يخاف الموت ما لم يعطِ كل ذي حقٍ حقه، وما لم يوفِ للناس ذممها، وهذا السلوك والفعل الذي يلح التاجر على إتمامه دليلٌ على المعنى الذي يستلزمه المتلقي من عبارة **(كان تاجرٌ من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد)** في بداية الحكاية.

فعملية التواصل بين المرسل والمتلقي لا يمكن أن تتم ما لم يكن هذان الطرفان في قلب عملية التواصل؛ فعمليتا فهم التعابير وتأويل الأقوال لن تتما ما لم توضع هذه التعابير والأقوال في سياقها التواصلي زماناً ومكاناً ومشاركين ومقاماً، فالمرسل هو من يمتلك المواضيع والافتراضات المسبقة، والمتلقي هو من يؤول ويقوم بالاستدلالات، والناس يتواصلون لتحقيق مآرب وأغراضٍ متعددة[37]، والمتلقي شهريار هنا لن يتمكن من الانتقال من الدلالة الحرفية إلى الدلالة المستلزمة ما لم يدرك السياق الذي تنسج ضمنه شهرزاد قصتها، وكلما كان إدراكه أكبر كانت شهرزاد أقرب إلى بلوغ غاياتها في إيصال معانيها المضمرة، وتحقيق تأثيرها المنشود عليه.

وتستمر شهرزاد في تكثيف الدلالة المضمرة المرتبطة بتعظيم هذا التاجر ورفع مكانته من خلال مديح الشخصيات الثانوية التي تستحضرها في القصة له، فالشيخ الكبير صاحب الغزالة يقول: **(والله يا أخي ما دينك إلا دينٌ عظيمٌ وحكايتك حكايةٌ عجيبةٌ لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرةً لمن اعتبر)**[38]، وهنا يبدأ المتلقي بالتساؤل عما يحمله هذا الخطاب في بنيته العميقة، فمن حيث لا يشعر سيبدأ بإعطاء بعدٍ استلزامي لصيغ الحكاية ومعانيها الصريحة، بمعنى أنه سيتساءل: لماذا يقول المتحدث ما يقوله في سياقٍ معينٍ؟، وليس ما الذي يقوله المتحدث؟، فتأويل المتلقي يجري على السؤال الذي يُطرح حول التلفظ، وليس حول الملفوظ ذاته[39]

فالمعنى المستلزم من عبارة **(والله يا أخي ما دينك إلا دينٌ عظيمٌ)** يندرج في سياق تعظيم التاجر وهذا ما أوّله المتلقي من بداية الحكاية، ولكن قول الشيخ: **(لو كتبت بالإبر على آماق البصر لكانت عبرةً لمن اعتبر)** يثير في المتلقي إمكاناته التأويلية أكثر؛ إذ يستلزم من هذا القول أن للحكاية عبرةً، والمتكلم لا يصرح بمعانيه مباشرةً،

بل يدفع المتلقي إلى القيام بعملياتٍ استنتاجيةٍ يستدل من خلالها على المعنى المضمر في العبارة، فما هي هذه العبرة التي يشير إليها الشيخ؟.

ولا بد للمتلقي من اللجوء إلى السياق والمقام اللذين تجري فيهما العملية التواصلية للكشف عن الاستلزام الحواري الكامن في عبارات الخطاب، والذي يخدم الفائدة الإخبارية ويحقق الغرض التواصلي، على نحو ما نجد من حاجة المتلقي إلى اللجوء إلى القيود السياقية والمقتضيات والمبادئ الخطابية لفهم قول الشيخ: **(اعلم أيها العفريت أن هذه الغزالة هي بنت عمي ومن لحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنةً فلم أرزق منها بولدٍ...)**[40]

فالمرسل هنا يخرق قاعدة **الكيف** التي تفترض أن يعبر المتكلم بوضوحٍ، ومن دون لبسٍ قدر الإمكان، وأن يقدم المعلومات بترتيبٍ مفهومٍ[41]، فالشيخ يرسل ملفوظاً يكتنفه كثيرٌ من الغموض واللبس، مما يصيب متلقيه (العفريت) بحالةٍ من الصدمة والذهول والعجب، ويدفعه إلى الإنصات والاستماع إلى ما سيلي من أحداثٍ عجيبةٍ تزيل الغموض عما سمعه، ثم إنه سيحتاج إلى مبدأ التعاون حتى يصل إلى المعنى المستلزم من هذه الحكاية، مثلما سيحتاج إليه الملك شهريار ليصل إلى غاية شهرزاد من حكايتها هذه، وليتمكن من الكشف عن مقاصدها الضمنية.

وتبدأ المعاني الضمنية التي تبغيها شهرزاد من خلال قصها لقصصها على مدى تلك الليالي الطوال بالتكشف للقارئ الذي يتلقى النص السردي بوصفه المتلقي خارج النص منذ الليلية الأولى والحكاية الأولى، فحين أدرك الصباح شهرزاد في الليلة الأولى من لياليها **(سكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك فقال الملك في نفسه والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم إنهم باتوا تلك الليلة إلى الصباح)**[42]

ففي جواب شهرزاد على مديح أختها معنىً مضمرٌ مقصودٌ يستلزم من حوارهما، فشهرزاد خرقت هنا قانون الصلة أو المناسبة من حيث إنها لم تجب على مديح أختها بجوابٍ داخل الموضوع، بل إن كلامها انحرف عن مناسبة الموضوع، ولم يعد ذا صلةٍ بموضوع الحديث، فاستغلت سياق المدح وقاعدة المناسبة لتوصيل ما تريد طلبه من الملك شهريار، فـ(الفائدة الكبرى من

قواعد غرايس لا تكمن في وجوب احترام المتخاطبين لها، بل يتمثل وجه طرافتها في قدرة المتخاطبين على استغلالها)[43] وشهرزاد لم توجه طلباً مباشراً إلى الملك بالإبقاء على حياتها؛ إذ انحرفت عن الدلالة الوضعية للعبارة التي استخدمتها، وقصدت المعنى المستلزم حوارياً من عبارتها، ويمثل هذا المعنى المستلزم حوارياً من عبارتها **(إن عشت وأبقاني الملك)** الخيط الأول الذي يمسكه المتلقي داخل النص (شهريار)، والمتلقي خارج النص من خيوط المعاني المضمرة والأهداف المقصودة من هذا الخطاب اللغوي السردي برمته.

ومما يدل على تبلُغ المتلقي قصد المرسل، وتمكنه من فك شيفرات رسالته؛ بمعنى تعاونه مع المرسل لفهم مقاصده الحقيقية، وليس ظاهر المعنى فقط قول الملك شهريار في نفسه **(والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها)**، فشهريار حقق لشهرزاد طلبها الذي توصل إليه من خلال المعنى المستلزم حوارياً من حوارها مع أختها، وقد تعمدت شهرزاد هذا الأسلوب الخفي في إيصال مقاصدها خشيةً من إثارة غضب الملك، فهي تعلم تمام العلم أنها لو طلبت من الملك طلبها بشكلٍ مباشرٍ فمن المرجح أن تكون عاقبتها وخيمةً، لذلك لجأت إلى أسلوبٍ يكشف عن لباقتها وتهذيبها، كما يكشف عن دهائها الكبير في بلوغ غاياتها.

ومما تتميز به مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ تعدد طبقات السرد وتعدد طبقات الإرسال والتلقي، وتبعاً لهذه التعددية فإن تحديد الاستلزامات الحوارية وتأويلها سيؤول إلى تعددية الطبقات، فالمعنى المستلزم من حوار المرسِل **(الشيخ)** مع المرسَل إليه **(العفريت)** سيختلف في تأويله إذا ما أخذ من جهة حوار **(شهرزاد)** مع الملك **(شهريار)**، وإذا ما أخذ من جهة حوار المرسل **(منتج النص)** مع المرسل إليه **(المتلقي خارج النص)**، فالمعاني الضمنية في هذه الحكاية تندرج تحت ما يسمى بالمعاني الحوارية؛ إذ إن المعاني الضمنية هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، فهي ليست مثل المعاني الصريحة التي يُدل عليها بصيغة الجملة ذاتها، بل إن للسياق دخلاً في تحديدها والتوجيه إليها، وتشمل **المعاني العرفية والمعاني الحوارية**، فأما المعاني العرفية فهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً، وتلازم الجملة ملازمةً في مقامٍ معينٍ، وأما المعاني الحوارية فهي التي تتولد تبعاً للمقامات والسياقات التي تنجز فيها الجملة[44]

وهكذا فإن المعاني الحوارية المستلزمة من حكاية الشيخ صاحب الغزالة للعفريت ترتبط بسياق الأحداث ودوافع الشيخ من قص حكايته، فالشيخ في سياق إثارة عجب العفريت، يريد أن يقنعه بغرابة حكايته؛ ليحقق مراده في أن يهب له العفريت ثلث دم التاجر المسكين؛ ولذلك فإن العبارات اللغوية كلها التي يسوقها الشيخ صاحب الغزالة في قصته تحمل في بنيتها العميقة الدلالة الحوارية المرتبطة بسياق الغرابة والعجب من مثل: **(فأرسلت إلى الراعي أن يخصني ببقرةٍ سمينةٍ فجاء ببقرةٍ سمينةٍ وهي سريرتي التي سحرتها تلك الغزالة فشمّرت ثيابي وأخذت السكين بيدي وتهيّأت لذبحها فصاحت وبكت بكاءً شديداً فقمت عنا وأمرت ذلك الراعي فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحماً ولا لحماً غير جلدٍ وعظمٍ)**[45]، وقد تمكن الشيخ من تحقيق غايته؛ إذ إن العفريت اعترف له بغرابة حديثه فقال: **(هذا حديثٌ عجيبٌ وقد وهبت لك ثلث دمه)**[46]، وهذا ما يدل على التزام الجني بمبدأ التعاون مما مكنه من فهم معاني الشيخ المستلزمة من قصته.

أما المعاني المستلزمة من حكاية شهرزاد فلعلها تدور حول فكرة الثأر التي يمكن للرجل أن يقوم بها انتقاماً من زوجته لعدم وفائها له وأذيته، ولأن شهرزاد تتصف بالحنكة والذكاء فإنها تواري مقاصدها، وتبعد منال معانيها المستلزمة بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ عن متلقيها الملك شهريار، فشهرزاد تحاول أن تقدم لزوجها الذي يثأر لنفسه بالقتل في كل ليلةٍ من كل امرأةٍ يتزوجها انتقاماً من زوجته التي خانته حكايةً تتقاطع مع حكايته، ولكن بشكلٍ غير واضحٍ وغير مباشرٍ فهي تترك له مساحةً واسعةً لإبداء التعاون في فهم مقاصدها التي لا تصرح بها بعباراتها اللغوية، كما أنها تترك لنفسها مساحةً واسعةً لإنكار أي شيءٍ قد يثير غضب الملك وثائرته تجاهها، ولاسيما أنها في الليالي الأوائل عنده، فهي لم تأمن بعد من سطوة سيفه وأمره بالقتل، فهي لا تسارع إلى خرق مبادئ الحوار وقواعد التعاون فيه خرقاً كبيراً، ولكنها تحاول دفع الملك رويداً رويداً إلى الوصول إلى المعاني الخفية المضمرة التي تلازم القول الحرفي الذي تقدمه من خلال الاستدلال الذي يجب أن يتوصل إليه المتلقي ليحافظ على مبدأ التعاون؛ إذ لولا الاستلزام الحواري لانتفت فرضية التعاون بين المتحاورين[47].

فتكمل شهرزاد نسج خيوط قصتها وحبك غاياتها ومقاصدها، فتروي حكاية الشيخ صاحب الكلبتين السلاقيتين على لسانه نفسه للعفريت بما فيها من غرابةٍ وعجائبيةٍ، وتحاول من خلال

هذه الحكاية أن تشير إلى معانيها المضمرة إشارةً أكثر وضوحاً لمتلقيها، مما يدفعه بإلحاح أكثر إلى التعاون مع المرسل، والتسليم بما هو مضمرٌ في البنية العميقة للعبارات، فالشيخ صاحب الكلبيتين يروي حكايته مع أخويه والجنية التي أصبحت زوجته، فيقص للعفريت كيف طمع به أخواه، وحسداه، وغارا منه، وأرادا قتله لسرقة أمواله، وكيف أن تلك الزوجة أحبته أكثر من أخويه، وكانت أكثر وفاءً منهما له، فدافعت عنه وأنقذته من الغرق، وردته إلى دياره سالماً، كما أنها اقتصت من أخويه فحولتهما إلى كلبيتين سلاقيتين، فسياق المقام الذي تروي به شهرزاد هذه الحكاية يستدعي في ذهن متلقيها الملك شهريار إجراء المقارنة بين الصورة الراسخة في ذهنه عن الزوجة الخائنة لزوجها، والتي لا تؤتمن على شرفه ولا دمه، وبين صورة الزوجة الوفية لزوجها التي تصون عرضه وتحمي دمه، وشهرزاد هنا تريد أن توصل مقاصدها الضمنية للملك شهريار بشيءٍ من التورية، فهي تتوارى وراء حجب الحكاية وتعدد طبقات الراوي والمروي والسارد والمسرود؛ ليكون كلامها غير مباشرٍ، ولتكون معانيها مستساغةً من قبل الملك لا تصيبه بالنفور من حديثها، أو بالغضب الذي قد يدفعه لقتلها.

وتتابع شهرزاد صناعة المعاني المضمرة القائمة على التعبيرات المجازية والأدبية التي تنتهك من خلالها مبادئ الحوار الثانوية، وتصنع استلزماتٍ حواريةً ترتبط بالسياق والمقام، فتروي على لسان الشيخ صاحب البغلة حكايته الغريبة والعجيبة التي فاقت في غرابتها حكايتي الشيخين السابقتين؛ إذ إن هذا الرجل شهد بأم عينه خيانة زوجته له مع عبدٍ أسودٍ، فلما دخل عليهما مرقدهما، ورأى منهما ما رأى قامت زوجته بسحره إلى هيئة كلبٍ، ولكن الله أرسل له من يفك سحرها عنه، ويعلمه كيف يسحرها إلى الصورة التي يريد، فسحرها على صورة بغلةٍ ترافقه في كل مكانٍ، فشهرزاد هنا تنتقل إلى ملامسة واقع الحال الذي أثر في الملك، وغير حياته رأساً على عقب، وهو حادثة خيانة زوجته له، وبهذا فإنها تنتقل بمعانيها المضمرة إلى محاكاة مكمن ألم الملك شهريار، والنقر على عتباته من دون التصريح بذلك؛ رغبةً منها بدفع الملك إلى إجراء المقارنة بين طريقة قصاص الشيخ من زوجته على الرغم مما أصابه منها، فكأن شهرزاد تريد أن تقول للملك إن عليه التلطف في انتقامه وقصاصه لنساء الأرض بسبب ما اقترفته زوجته، ولكنا تخترق قواعد الحوار، وتستغلها لتولد الاستلزامات الحوارية التي تريد إيصالها وتبليغها إلى متلقيها.

ومما يدل على مشاركة الملك شهريار لشهرزاد في الحوار، والتزامه بمبدأ التعاون الذي من خلاله يتمكن من الانتقال من الدلالة الحرفية للقول إلى المعنى المستلزم إتمام العملية التواصلية بينهما، فشهرزاد تمكنت من خلال **(حكاية التاجر مع العفريت)** أن تبقي على حياتها لثلاث لياٍل متتاليةٍ، فقد بدأت بقص "حكاية التاجر مع العفريت" منذ الليلة الأولى، وانتهت في الليلة الثالثة حيث بدأت قصةً جديدةً تعد وسيلتها المستجدة للحياة لعدة لياٍل أخر، ولو أن حلقات العملية التواصلية قطعت بينها وبين الملك شهريار لكانت المعاني فقدت، ولكان شهريار حكم عليها بالموت من الليلة الأولى، ولكنه في كل ليلةٍ كان يقول: **(والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لأنه عجيبٌ)**[48].

-خاتمة البحث ونتائجه:

وفي ختام هذه الدراسة لابد من أن نجمل النتائج العلمية التي خلصت إليها، وذلك في النقاط الآتية:

-إن دراسة الاستلزام الحواري في **(حكاية التاجر مع العفريت)** تعد عملاً جديداً من حيث قلة الدراسات التي تناولت مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ تداولياً، ولذلك فإن هذا الجانب يسهم في تعزيز جوانب الدراسة التداولية للنصوص من جهةٍ، وفي الكشف عن مضامين مدونة ألف ليلةٍ وليلةٍ من زاويةٍ جديدةٍ من جهةٍ أخرى.

-كشفت الدراسة عن مدى استجابة البنية السردية في مدونة أللف ليلةٍ وليلةٍ لمعطيات الدراسة التداولية، ولاسيما لمعطيات نظرية الاستلزام الحواري وجوانبها التطبيقية.

-خلصت الدراسة إلى أن للاستلزام الحواري عناصر رئيسةً لا بد من توفرها لإتمام العملية التواصلية بين أطراف الحوار من أهمها التزام طرفي التواصل كليهما بمبدأ التعاون في فهم المقاصد والكشف عنها.

-يرتبط تحليل الاستلزامات الحوارية في نص "حكاية التاجر مع العفريت" بسياق الحال والمقام اللذين تدور ضمنهما أحداث الليالي الثلاث التي ضمت أحداث هذه الحكاية، ولهذا ينبغي على المتلقي الذي يسعى إلى الإلمام بالمعاني الضمنية لخطاب الحكاية أن يتزود بمعرفة سياق إنتاج الخطاب أولاً.

-الاستلزامات الحوارية في "حكاية التاجر والعفريت" تتغير بتغير طبقات الإرسال والتلقي، فلها عدة استدلالاتٍ تبعاً للسياق الذي يقال فيه ما يقال، وتبعاً لأطراف عملية التواصل.

- يعد تحقيق أسلوب التورية عن طريق استخدام الاستلزامات الحوارية من الخطابات غير المباشرة الناجحة في توصيل الإفادة والمعاني التي يريدها المرسل من حيث إنه يحمي المرسل من عواقب التصريح بمقاصده، فحين يكون المتلقي أعلى رتبةً من المرسل يجب على المرسل أن يلجأ إلى التلميح لا إلى التصريح خشية النتائج التي قد تكون وخيمةً.

الهوامش

1- **ينظر: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، د.مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت-لبنان ،ط 1 ،2005، ص17.**

2- **ينظر : دراسات في فلسفة اللغة، د.محمد مهران رشوان، دار قباء، القاهرة-مصر،د.ط، 1998، ص 159.**

3- **ينظر: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د.مسعود صحراوي، ص20 .**

4- **ينظر : المصدر نفسه ، ص21-22.**

5- **ينظر : الفلسفة واللغة نقد المنطق اللغوي في الفلسفة المعاصرة، الزواوي بغورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2005، ص101.**

6- **ينظر :علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد-العراق، ط3، 1985، ص43.**

7- **ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، عمان-الأردن، ط1، 2016، ص44-48.**

8- **ينظر :الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، دراسة دلالية ومعجم سياقي) ، د.علي محمود حجي الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2010، ص5.**

9- **ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، محمود عكاشة ،مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط1، 2013، ص30)**

10- ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، ص42-43 .

11- ينظر :المقاربة التداولية، أرمينكو فرانسواز، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1997، ص38-39.

12- في اللسانيات التداولية (محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، د.خليفة بوجادي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص85.

13- ينظر :إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص82.

14- ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، تر: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية-سورية، ط1، 2007، ص144-145.

15- ينظر :المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008، ص105 .

16- ينظر : المضمر، كاترين كيربرات-أوريكيوني، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت-لبنان، ط1، 2008، ص74.

17- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي العربي المعاصر، د.محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، د.ط، 2002، ص40-41.

18- ينظر : المقاربة التداولية، أرمينكو فرانسواز، ص60.

19- ينظر: المصدر نفسه، ص60 .

20- إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص456.

21- ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، الأمل، تيزي وزو-الجزائر، ط2، 2013، ص79.

22- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د.نعمان بوقرة، جدار للكتاب العالمي، عمان-الأردن، ط1، 2009، ص14.

23- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.محمود أحمد نحلة، ص32-33 .

24- ينظر: نظرية التلويح الحواري -بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، هشام عبد الله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2013، ص28.

25- ينظر :التداولية، جورج يول، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص71.

26- ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة، ص8.

27- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص55.

28- ينظر :إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص96.

29- نظرية: التلويح الحواري-بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، ص29.

30- ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص55-56.

31- التداولية، جورج يول، ص67.

32- ينظر: نظرية التلويح الحواري-بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، ص35.

33- ينظر: التداولية، جورج يول، ص73-74.

34- إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، ص370.

35- ألف ليلة وليلة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، القاهرة-مصر، د.ط، 1985، مج1، ص8.

36- (المصدر نفسه، مج1، ص8).

37- ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت-لبنان، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1991، ص48-49.

38- ألف ليلة وليلة، مج1، ص8.

39- ينظر :لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، الأمل، تيزي وزو-الجزائر، ط2، 2012، ص135.

40- ألف ليلة وليلة، مج1، ص8-9 .

41- ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص56.

42- ألف ليلة وليلة، مج1، ص10.

43- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص56.

44- ينظر: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، د.مسعود صحراوي)، ص34-35.

45- ألف ليلة وليلة، ص10 .

46- المصدر نفسه ،ص11.

47- ينظر: نظرية التلويح الحواري –بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي، ص31.

48- ألف ليلة وليلة، ص13.

REFERENCES

1- See: Pragmatics Among Arab Scholars (A Pragmatic Study of Speech Act Phenomenon in Arab Linguistic Heritage), Dr. Masoud Sahrawi, Dar Al-Talia, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2005, p. 17.
2- See: Studies in the Philosophy of Language, Dr. Mohamed Mehran Rashwan, Dar Quba, Cairo-Egypt, undated, 1998, p. 159.
3- See: Pragmatics Among Arab Scholars (A Pragmatic Study of Speech Act Phenomenon in Arab Linguistic Heritage), Dr. Masoud Sahrawi, p. 20.
4- See: Same source, pp. 21-22.
5- See: Philosophy and Language, Critique of Linguistic Logic in Contemporary Philosophy, Zouaoui Bagoura, Dar Al-Talia for Printing and Publishing, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2005, p. 101.
6- See: General Linguistics, Ferdinand de Saussure, trans. Yoel Yusuf Aziz, Dar Afaq Arabiya, Baghdad-Iraq, 3rd edition, 1985, p. 43.
7- See: Pragmatics: Its Origins and Trends, Jawad Khattam, Dar Kunuz Al-Ma'arifa, Amman-Jordan, 1st edition, 2016, pp. 44-48.
7- See: Performative Acts in Contemporary Arabic (A Semantic and Contextual Lexical Study), Dr. Ali Mahmoud Haji Al-Sarraf, Al-Adab Library, Cairo-Egypt, 1st edition, 2010, p. 5.
8- See: Pragmatic Linguistic Theory: A Study of Concepts, Origins, and Principles, Mahmoud Akasha, Al-Adab Library, Cairo-Egypt, 1st edition, 2013, p. 30.
9- See: Pragmatics: Its Origins and Trends, p. 42-43.
10- See: Pragmatic Approach, Arminco Françoise, trans. Said Aloush, Modern Publishing and Distribution Foundation, Syria, 1st edition, 1997, pp. 38-39.
11- In Linguistic Pragmatics (A Foundational Attempt in Ancient Arab Studies), Dr. Khalifa Boujady, House of Wisdom, Algeria, 1st edition, 2009, p. 85.
12- See: Discourse Strategies (A Pragmatic Linguistic Approach), p. 82.
13- See: Pragmatics from Austin to Goffman, Philippe Blanché, trans. Saber Al-Habasha, Dar Al-Hewar, Lattakia-Syria, 1st edition, 2007, pp. 144-145.
14- See: Key Terms for Discourse Analysis, Dominique Manguno, trans. Mohamed Yahyatin, Al-Ikhtilaf Publications, Arab Scientific Publishers, Algeria, 1st edition, 2008, p. 105.

15- See: Implicature, Catherine Kerbrat-Orecchioni, trans. Rita Khater, Arab Translation Organization, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2008, p. 74.
16- See: New Horizons in Contemporary Arabic Linguistic Research, Dr. Mahmoud Ahmed Nahla, University Knowledge House, Alexandria-Egypt, undated, 2002, pp. 40-41.
17- See: Pragmatic Approach, Arminco Françoise, p. 60.
18- See: Same source, p. 60.
19- See: Discourse Strategies (A Pragmatic Linguistic Approach), p. 456.
20- See: Theater Discourse Analysis in Light of Pragmatic Theory, Omar Belkhir, Al-Amal, Tizi Ouzou-Algeria, 2nd edition, 2013, p. 79.
21- Key Terms in Text Linguistics and Discourse Analysis (A Lexical Study), Dr. Nauman Bougara, Jidar for World Books, Amman-Jordan, 1st edition, 2009, p. 14.
22- See: New Horizons in Contemporary Arabic Linguistic Research, Dr. Mahmoud Ahmed Nahla, pp. 32-33.
23- See: Theory of Conversational Implicature – Between Modern Linguistics and Linguistic Studies in the Arab Islamic Heritage, Hisham Abdullah Al-Khalifa, Library of Lebanon Publishers, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2013, p. 28.
24- See: Pragmatics, George Yule, trans. Qusay Al-Atabi, Arab Scientific Publishers, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2010, p. 71.
25- See: Lectures on the Philosophy of Language, p. 8.
26- Pragmatics Today: A New Science in Communication, p. 55.
27- See: Discourse Strategies (A Pragmatic Linguistic Approach), p. 96.
28-Theory of Conversational Implicature – Between Modern Linguistics and Linguistic Studies in the Arab Islamic Heritage, p. 29.
29-See: Pragmatics Today: A New Science in Communication, pp. 55-56.
30-Pragmatics, George Yule, p. 67.
31-See: Theory of Conversational Implicature – Between Modern Linguistics and Linguistic Studies in the Arab Islamic Heritage, p. 35.
32- See: Pragmatics, George Yule, pp. 73-74.
33-See: Discourse Strategies (A Pragmatic Linguistic Approach), p. 370.
34-One Thousand and One Nights, Library and Printing of Mohamed Ali Sabih, Cairo-Egypt, undated, 1985, Vol. 1, p. 8.
35-Same source, Vol. 1, p. 8.
36-See: Text Linguistics: An Introduction to Discourse Coherence, Mohamed Khattabi, Arab Cultural Center, Beirut-Lebanon, Casablanca-Morocco, 1st edition, 1991, pp. 48-49.
37-One Thousand and One Nights, Vol. 1, p. 8.
38-See: Speech Act Theory and Pragmatics of Discourse, Zahra Hamou Hajj, Al-Amal, Tizi Ouzou-Algeria

39-Hamou Hajj, Zahra. *Speech Act Theory and Pragmatics of Discourse*. Al-Amal, Tizi Ouzou-Algeria, 2nd edition, 2012, p. 135.

40-One Thousand and One Nights, Vol. 1, pp. 8-9.

41-See: Pragmatics Today: A New Science in Communication, p. 56.

42-One Thousand and One Nights, Vol. 1, p. 10.

43-Pragmatics Today: A New Science in Communication, p. 56.

44-See: Sahrawi, Masoud. Pragmatics Among Arab Scholars (A Pragmatic Study of Speech Act Phenomenon in Arab Linguistic Heritage), p. 34-35.

45-One Thousand and One Nights, p. 10.

46-Same source, p. 11.

47-See: Theory of Conversational Implicature – Between Modern Linguistics and Linguistic Studies in the Arab Islamic Heritage, p. 31.

48-One Thousand and One Nights, p. 13.